* المحـــاضرة الرابعة: مهام النّاقد السينمائـي

تمهيد

تعتبر الكتابة النقدية من أصعب الممارسات النقدية وأصعبها ، خاصة في مجال السينما ، عندما يتعلق الأمر بالصورة وما تحمله من دلالات وإيحاءات تعبر عن واقع المجتمع وما فيه ، لذلك تستوجب قراءة هذا العمل الفني ، المتمثل في الفيلم ، شروطا كثيرة ،لابد وأن تتوفر في من يريد ولوج عالم النقد السينمائي وكتابة المقال النقدي الصحيح المبني على المصداقية في الطرح وتناول موضوع العمل الإبداعي .

" لقد كانت مسئولية الناقد دائما هي أن يستجيب بسرعة وذكاء للعمل الفني الجديد وأن يشارك الفنان نفسه في فهمه الوجداني لقدرة الفن الذي يخدمانه معا... وهكذا لا يصير الناقد طفيليا يعيش على العناصر الحيوية في الفنان الحساس ، وإنما يصير في الغالب " حامي حمى العقيدة " من الفنان الطفيلي الذي يستغل الأشكال الفنية ذات الطابع التجاري المفرط داخل الرواية والدراما والفيلم ، ومعنى هذا في الحقيقة أنّ الناقد نفسه كاتب يميز المستوى الجيد من غيره مما يتضمنه إنتاج أفضل الفنانين . "1

نستخلص ممّا سبق أنّ مهمة النقد السينمائي صعبة للغاية ، كونها تتطلب تضافر جهود كبيرة من مجموعة من التخصصات المختلفة والمتداخلة فيما بينها ، لتحليل العمل السينمائي المتمثل في الفيلم كخامة رئيسية وهامة في مجال الإبداع السينمائي ، لذلك فعملية النقد هنا تتخذ من

---

(1) ـ علي شلش ، النقد السينمائي ، م س ، ص : 74 ، 75.

الفيلم مصدرا لها ، لأنّ الناقد يقوم بدراسة العمل الفني عن طريق تفسيره و تحليله وتفكيكه إلى أجزاء ، ليتسنى له قراءة العمل من خلال مكوناته الفنية والتقنية وفقا لمناهج وقواعد اصطلح عليها من قبل منظري السينما ، لذلك وجب على الناقد أن يكتسب المبادئ التي تبني عملية النقد "وهي تقوم على الحجة والشروح المستقاة من التجارب الفنية .. وأنّ الناقد يرجع دائما إلى حقائق غير محصورة في ذاته ، وأنّ النقد الصحيح كالأدب في وحدة غايتهما الإنسانية والفنية." 1

ومثل ذلك تماما ، فالناقد السينمائي يجب أن يكون على دراية تامة بكل ما له علاقة بالسينما من فنون وعلوم وتقنيات وعلى صلة وثيقة بكل ما يستجد في الوسط الفني السينمائي من نظريات واختراعات ، وكذا المهن المختلفة فيها وما يعتريها من تغييرات يوما بعد يوم ، وغيرها من الأمور المساهمة في تطوير هذا الفن على العموم ، دون نسيان المعادلة المهمة في النقد السينمائي، ألا وهي دراسة الجوانب النفسية والاجتماعية للجمهور (المتلقي).

" تتأسس مهمة الناقد السينمائي على المزاوجة بين الفن السينمائي والكتابة، فقد نجد الكثير من المخرجين والتقنيين والفنيين، المرتبطين بكافة المجالات المهنية السينمائية ، لا يتقنون الكتابة عن أعمالهم ، بل هناك من لا يجيد الحديث عنها ... وهذا في نظري لا ينقص من شأنهم ولا من قيمة العمل الفني ، لأنّ طريقة تعبيرهم تتأسس على إتقان مهنهم الفنية ... فالإبداع قوة مطلقة على الناقد أن يكون قادرا على إضاءة وكشف خفاياها وظلالها. "2

---

(1) . محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ، دار العودة ـ بيروت ـ ط1 ، 1982 ، ص : 24.

(2) ـ محمد أشويكة : السينما المغربية (رهانات الحداثة ووعي الذات) ، دار التوحيدي للنشر ، المغرب ، ط 1 ، 2012 ، ص: 20 . 21 .

لأنّ طبيعة النقد والعمل الفني الإبداعي تتسم بالتقارب فيما بينها ، فكلما زادت درجة الذوق والوعي بالمسؤولية لدى الناقد ، ارتقت درجة النضج والموهبة والإبداع .

" إنّ ما يقوم به الناقد يتحدد أساسا في الانكباب على قراءة الفيلم ذاته ، باعتباره عملا إبداعيا يتميز ببنائه الخاص ، وتوليفه لمكونات متعددة مستمدة أساسا من لغة الصورة وموظفة لبلاغتها بعبارة أخرى ، فإذا كانت مهمة المخرج تتحدد في إبداع صورة فنية (وليس واقعية) عن الواقع ، فإنّ مهمة الناقد تتمثل في البحث في مدى تحقق هذا الإبداع بهذا المعنى والمفهوم ." 1

والمقصود بذلك تحليل العمل الفني الإبداعي لتحديد قيمته والوصول به في النهاية إلى الحقيقة ، والجمال...إلخ ، النقد بالسلب أو الإيجاب يكون طبقا لسلم التقييم الذي بواسطته نحكم على قيمة العمل الذي هو في حد ذاته مستقلا عن الناقد الذي يصدر الحكم ، يمكننا كذلك التمييز بين نقد خارجي(الذي يرجع بالعمل الفني لإطاره المكاني والزماني) ، ونقد داخلي(يناقش العمل الفني في حد ذاته)، بمكوناته الشكلية والفكرية.

فالنقد إذا له وظيفة مزدوجة ، إعلامية وتقييمية ، تتمثل أساسا في التمييز والتحليل بهدف تحديد الوظائف ، وشرح العمل الفني .2 الذي هو صلب موضوع النقد بالأساس ولولاه ما تبلورت العملية النقدية أصلا ، وعليه ، فالفيلم السينمائي بكل مكوناته التقنية والفكرية حقل من حقول الثقافة التي تسترعي انتباه الناقد بما يحمله من أسئلة وهواجس تعبر عن مدى رضاه أو سخطه

---

(1) ـ سمير عزمي: النقد السينمائي بالمغرب(الممارسة والآفاق) ، م س ، ص : 67.

(2) ـ ينظر : Jacques Aumont ; Michel Marie : Dictionnaire théorique et critique du Cinéma,Armand Colin CINEMA,France,2005,p :45.

على المنتوج الإبداعي من جهة.

ومن جهة أخرى " ربط الإبداع السينمائي بحقيقته كعلاقة اجتماعية ضمن العلاقات الاجتماعية الأخرى ، وفهم وظيفته في ارتباطه بطبيعته السابقة ،وباحتياجات المرحلة التي أنتج فيها ، والمسألة الأهم هي أنّه نظر إلى الممارسة السينمائية كتعبير إيديولوجي يترجم بالضرورة رؤية خاصة للصراع الاجتماعي. " [1]

" إنّ من مهام الناقد السينمائي الكبرى اليوم ، نشر الوعي البصري ، لأنّ مفهوم المواطنة حاليا خصوصا في صفوف الشباب لم تعد تصنعه المقررات التربوية أو الانتماء الجغرافي أو بعض المحددات الكلاسيكية للهوية وإنّما تحدده بشكل كبير الصورة بمختلف حواملها وطرق بثها"[2]

إنّ وظيفة الناقد الحقيقي تكمن في ثقافته الفنية والسينمائية، وشفافيته و ابتعاده عن التطرف في إصدار أحكامه بما يجب أن يكون ، بدون ذاتية مفرطة ولا موضوعية زائفة ، خدمة للفن والإبداع ، ودعما للنهوض بالنقد السينمائي في مقاربة واعية ، بالمسؤولية الملقاة على عاتق كل عاشق للسينما والفن عموما ، ما من شأنه أن يسد الأبواب على الدخلاء من غير أهل الفن في خوض مجال النقد " بل إنّ البعض منهم أصبح يمارس مهاما تتعارض وجوهر النقد " Anti critique " إذ يبرر أخطاء المؤسسة ويبيضها ، ويمارس إقصاءات وانتقاءات في صفوف زملائه النقاد ساعيا لإلجامهم عوض دعمهم وتعويض الأكفاء منهم بالانتهازيين ، ويحاول إخفاء ظواهر جد

---

(1) . حميد ، اتباتو .(النظرية في الممارسة النقدية السينمائية كتابة مولاي إدريس الجعيدي نموذجا.)، أسئلة النقد السينمائي المغربي ، منشورات نادي إيموزار للسينما ، الإصدار الثالث ، د ط ، د ت ، ص : 18.

(2) . المرجع نفسه ، ص : 48.

موضوعية بخطاب ديماغوجي هش شبيه بأحلام الطوباويين ! ... إذ أثّر ذلك على عدم فاعلية النقد ... وطغيان الارتجالية والشفهية والموسمية... "1

والمراد بذلك هو ترفع الناقد الحقيقي عن كل ما هو مفسدة للفن والسينما على العموم ، وأن يجعل من العملية النقدية إجراء فكري وجمالي وتواصلي في آن واحد ، ما من شأنه أن يسمو بالسينما ويساهم في تطوير الخطاب السينمائي " لا نريد أن نقول بأنّ كل الكتابات النقدية يجب أن تكون على هذا المستوى من التحليل والتأويل، ولكن ما يبدو ضروريا... هو الوقوف عند ما يشكل عوائق هذه السينما سواء منها ما يتعلق بالعوامل المادية والإجرائية لإنتاجها ، أو ما يرجع إلى البنية الداخلية للكتابة السينمائية فيها مثل السيناريو و الموسيقى والممثل والتخيل الخ ... لقد آن الأوان لتحويل ضعف السينما ... إلى مصدر لقوتها ، كما حان الوقت لتعميق النظر النقدي في الفيلم ... بخروجه من دائرة الأحكام المتعسفة إلى صياغة أفكاره بتواضع فكري معتمد على تكوين ثقافي متعدد الاختصاصات يسعفه على القيام بقراءة تسهم في تشكيل الوعي السينمائي وتشارك في تربية الحساسية الجمالية للناس." 2

ومما لاشك فيه ، أنّ حقيقة النقد السينمائي تنطوي على صعوبات جمة ، ينبغي على الناقد أن يذللها « وأن يحض بأقصى ما يستطيع على إنتاج العمل الجيد المسئول ، فصناعة الفيلم ليست إلاّ نشاطا واحدا من أنشطة كثيرة يمارسها الناس في المجتمع ، وواجب الناقد أن يجتهد في

---

(1) ـ حميد ، اتباتو ، أسئلة النقد السينمائي المغربي ، م س ، ص : 50 – 51 .

(2) ـ محمد نور الدين أفاية : الخطاب السينمائي بين الكتابة والتأويل، م س ،ص: 52

توضيح الطريق أمام الظروف الاجتماعية التي تمكن السينما من الوفاء بوظيفتها بشكل أكفأ فيما يتعلق بإصدار الحكم على الأعمال التي تم إنتاجها. "1

ولعل ثقافة النّاقد هي الأصل في تفوقه وبروزه على من سواه من النّقاد ، وخاصة في مجالاتها الواسعة المتعلقة بالفنون الأخرى التي تجعل من السينما رافدا مهما من روافدها ، بحيث يشترط على النّاقد الشمولية والموسوعية ، ولو بشكل نسبيّ ، وأن يكون على دراية بالبديهيات والمسلّمات في الفن والأدب و السياسة والاقتصاد وأحوال المجتمعات وتاريخها العام، وبذلك يتمكن من الحكم على العمل الفني في إطاره الذي أنتج فيه، وفقا للزمان والمكان ، بمنهج علمي مدروس مبني على الحقائق العلمية والملاحظة والتجربة ، وإعمال العقل .

إنّ وظيفة الناقد ليست فنيّة وحسب ، بل تتعدى ذلك ، إلى وظيفة أخلاقية ، إذ يحمل الناقد على عاتقه مسؤولية عظمى ، اتجاه أبناء مجتمعه ، والعالم الذي يعيش فيه ، من خلال رصد أفكار الفيلم السينمائي وإيصالها للمتلقي بصدق وأمانة ، بتفسير وتحليل الظاهرة الفنية ، وإبراز القيّم الجمالية فيها ، للمتفرج الذي يملك حسا نقديا وتذوقا سليما ، هذا من جهة ، وتبيان الضرر والتأثير السلبي للمتفرج السلبي الذي لا يستطيع إدراك المفاهيم العميقة والأفكار الدفينة في العمل السينمائي من جهة أخرى .

فلا ضرر من أن يكون عمل الناقد السينمائي مزاوجا بين الفن والإصلاح الاجتماعي ، كونه فردا

---

(1) ـ علي شلش ، النقد السينمائي ، م س ، ص : 69.

لا يتجزأ من منظومة قوامها التكافل الاجتماعي ، في زمن ، أضحت فيه الصورة تبني أمما وتهدم أخرى ، والأمثلة بين أيدينا ، والصورة أبلغ تعبير.

" وأخيرا.. كيف يمكن الفصل بين مسؤولية النّاقد ودوره، وبين ضلوعه في العمل في خدمة مهرجانات معينة معروفة بأنّها بعيدة كل البعد عن "الثقافة "و"التنوير"، أو لحساب مؤسسات عربية تروج لقيم وأفكار مشبوهة متميعة بهدف ضرب وتشويه كل تجاربنا الإيجابية السابقة."1

" ولكي يؤسس النّاقد لنفسه موقعا في العملية فإنه يلجأ إلى أيسر وأقصر الطرق وأقلها خسارة في مهمّتـه ، وأكثر قبولا لدى جمهور فن الفيلم من جهة ، ولدى من ينتج الخطاب الفيلمي ..إنها مهمة من يمضي مع الفيلم في كونـه متنا حكائيا.. أو قصصيا يستوجب الأمر أن توضح ملابساته وتركيبه."2

ولا يتأتى ذلك إلّا للنّاقد المتخصص ،الذي يتعمق في تحليل قضايا السينما ، وما تحمله الصورة من فلسفة و أفكار وجماليات فنيّة ، و ذلك بمعرفة أسس ومبادئ النّقد السينمائي الحقيقي ، في حين ، النّاقد الصحفي لا يهمّه من النّقد سوى تغطية التظاهرات والمهرجانات وأخبار الفنانين والنّجوم وسِيَرِ حياتهم ، كونها تشكل المادة الخام للكتابة الصّحفية في مجال الفن ، وبالتّالي ، فالكثير من هؤلاء،باستثناء بعضهم ، دخلاء على النّقد السينمائي ومندسون فيه، ولا يمكنهم أن يساهموا في خدمة السينما و تطويرها .

---

(1) . أمير العمري ، عن النقد السينمائي ونقاد السينما: أفكار وشجون http://life-in-cinema.blogspot.com/2008/09/blog-post_7490.html

(2) . طاهر علوان، الناقد السينمائي في وظيفة شارح الصورة http://www.cinematechhaddad.com/

" إنّ من مهام النّاقد السينمائي الكبرى اليوم ، نشر الوعي البصري ، لأنّ مفهوم المواطنة حاليا ـ خصوصا في صفوف الشباب ـ لم تعد تصنعه المقررات التربوية أو الانتماء الجغرافي أو بعض المحددات الكلاسيكية للهوية .. وإنّما تحدده بشكل كبير الصورة ، بمختلف حواملها وطرق بثّها ... "1

وهذا أمر لابد منه ، من ناحية اجتماعية بحتة ، بحيث تمتاز الصورة السينمائية بقوّة التأثير والإقناع ، لدى فئة المشاهدين ، ومنه يعمل النّاقد السينمائي الفذ على تفسير الظاهرة السينمائية وتفكيك رموزها ودلالاتها الفنّية والفكرية والجمالية بالأسلوب الرصين واللّغة القويّة ، والحجّة البالغة وفقا لثقافة المجتمع وتوجهاته ، وحفظا كذلك من كلّ ما من شأنه زعزعة أمنه واستقراره والمساس بهويته .

إنّ عمل النّاقد إذا ، أعظم من ذلك بكثير ، فزيادة على كونه يقوم بتحليل الأفلام وتفسيرها وتبيان الجيّد والرديء منها ، فهو كذلك حام للهوية الوطنية لبلده ، من كلّ عابث بها أو مشوه لها ، من خلال " نشر الثّقافة السينمائية ، وإقناع المؤسسات العامة والخاصة بأهميّة الصورة في الرقيّ بالمجتمع ، وبلورة خطط ومشاريع لزرع الثقافة السمعية البصريّة في صفوف الناشئة والأسر ولدى الجمهور الواسع .." 2

---

(1). محمد اشويكة: السينما المغربية ، م س ، ص 30.

(2) ـ محمد اشويكة: السينما المغربية ، م س ، ص 30.